## الفصل الثامن عشر

# وادي حبونا

هبطنا سائرين على الأقدام من عند الممر إلى حيث تنتظرنا الجمال عند رأس شعيب شكمان، الذي تتبعناه إلى مسافة قبل أن نضرب عبر دلتا حبة متجهين إلى صخرة منعزلة على جانبه الأيسر تكسوها نقوش لا حصر لها ورسوم، والتي توقفت فترة لنسخها، بينما واصل فرج ومعظم الباقين المسيرة لكي يكونوا في استقبالنا عند الوصول. رأينا أثناء ذلك ثعلباً كبيراً وهو يدقق النظر إلينا من فوهة كهف في التل.

انكشفت أمامنا الآن واحة حبونا على هيئة كتلة كثيفة من أشجار النخيل بامتداد متوسط إلى جانب ما يقدر بستٍ من القرى الصغيرة المنتشرة بين المزارع.

اتخذت من النقوش سبباً لأتأخر أكثر إذ لا يزال اليوم في منتصفه، ولأستغل الفرصة لألقي نظرة فاحصة على المكان ومحيطه قبل أن أعبر بطن الوادي لألحق بزملائي في المعسكر الذي يقع تحت برج للماء يقوم على السلسلة الشستية لجانب الوادي الأيمن عند الطرف الشمالي الغربي للقرية الرئيسة والتي تعرف شمولياً باسم شط الخضراء والتي تتكون من ثلاث قرى صغيرة هي: تليل، وأعلا، وسند. كانت القصور متجمعة مع بعضها البعض، في شكل قرى صغيرة على عكس ما هو مألوف في نجران، مما يدل على أن المجتمع هنا أكثر تجانساً. تغطي قرية شط الخضراء مساحة أبعادها ٨٠٠ ياردة طولاً على واحة الوادي، و٣٠٠ ياردة عرضاً عبر الخليج ويحيط بها تل مرتفع بارز تحتوي إلى جانب سكانها، على حقول دخن

مزدهرة وعلى العديد من أشجار النخيل المنتشرة أو المتجمعة. تقع هذه المنطقة إلى الشمال الشرقي وإلى الشرق من عند موقع على جانب التل بالقرب من برج المراقبة الذي كنت قد اخترته لإجراء مسح عام للقرية ويقع على جانب الوادي الأيمن. تقع قريتان صغيرتان على مسافة ميل واحد عبر الوادي في اتجاه جنوب الجنوب الشرقي ويتبعان قبيلة بني هميم، وهما أعلا وأسفل تفصل بينهما صخرة، وتحتضنهما التلال.

تقع مزارع قابل منيف ذات النخيل الكثيفة، أيضاً على الجانب الأيسر للوادي وعلى الكتف الأيسر لقرية شط الخضراء، وكانت قريتها الرئيسة الصغيرة عند مركز الدائرة خلف أشجار النخيل ووسط حقول كبيرة للذرة. يكتمل النظر بقلعة تسمى قشية تقع على رأس صخرة صغيرة في وسط الوادي مع بعض أشجار النخيل القائمة على لسان أرضي يتجه إلى الوراء. يوجد غطاء جيد للطرفاء والأثل في بطن الوادي، والذي يبلغ عرضه حوالي ٤٠٠ قدم ويخترقه مجرى سيول ضيق متلوٍ. وتفتح قناة ذات جوانب عالية من عند جانب الوادي لتحمل مياه السيول إلى داخل الرعن الذي يقف عليه برج المراقبة، ومنه إلى الحوض الذي يحتوي على حقول الدخن، وحكماً بالأصوات المنبعثة من عند الآبار العديدة فإنه يتضح لنا أن الناس كانوا مشغولين هذه اللحظة بري محاصيلهم.

وقفت قمة أم خرق بارزة من فوق سلسلتها ناحية الشمال من موقعنا، كما أمكننا رؤية مجرى الوادي، وذلك على مسافة خمسة أميال أعلى أسفل الواحة. كانت واحة جذابة بصفة عامة، برغم أنها على مستوى قياس أصغر مقارنة مع واحة نجران، وقد أكسبتها الجبال التي تشمخ، من فوقها وعلى الجانبين، وتحيط بها، لمسة رومانتيكية.

أقيم معسكرنا على سفح بالقرب من القرية الصغيرة الرئيسة التي تسمى أعلا أو حصن الأعلا، حيث يقيم أمير القرية، والذي حضر لتحيتنا عند وصولنا ودعانا إلى قصره لتناول القهوة والمرطبات.

يتم تعيين هؤلاء الأمراء المحليين بواسطة أمير المنطقة، تماشياً مع العادة المتبعة في إدارات الجزيرة العربية. اتضح أن أمير قرية حبونا الصغيرة نسبياً هو في النسب خال لصديقي النشمي بنجران، واسمه محمد بن ناصر، ولم يكن مقصراً في صداقته وفي كرمه. جاء محمد أصلا إلى نجران مع السلف السابق للنشمي واسمه محمد العساف ومكث لكي يساعد خاله، الذي منحه هذه الوظيفة. وقد كنت قد قابلته منذ فترة مبكرة، عام ١٩٢٧م، لما كان حينها موظفاً تحت رئاسة عبدالله الجفالي في مراقبة إنشاء الطريق المسفلت الذي يربط بين جدة ومكة –كان عربياً من الطراز الممتاز، ينتمي للمدرسة القديمة، وكان شديد الجاذبية، وشديد التواضع. وقد سكن بحكم الظروف في أحد القصور المحلية، الأقل هيبة من تلك التي في نجران. وقد قام بإعادة بناء جزء منه ليحصل على غرفة استقبال جذابة ذات نوافذ أكثر إضاءة مما كان قد أعده المهندس المعماري الذي قام بتصميم القصر والذي قد ارتكز همه على جانب الأمن بدلاً من الراحة. يطلق على القرية شط الخضراء، أو شطين أو الخضراء –قسم يتبع آل سلوم–، أو حتى قابل التليل في مقابلة قابل منيف المواجه. ينتمي السكان إلى فخذ خضراء فرع آل سلوم التابع لقبيلة يام. ويطلق على السلسلة الجرانيتية العالية التي تحيط بخليج خضراء وتطل عليه اسم شرقان.

تسلقت صباح اليوم التالي، وبعد أن تناولت إفطاراً ممتازاً من لحم ضأن وأرز قدمه لنا الأمير، السفوح شديدة الانحدار لشرقان التي تحتوي على ألواح عمودية

تشبه الأردواز، متجهاً إلى القمة يصحبني مهدي القعوان، الرجل الرئيس في القرية. كانت القمة على ارتفاع ٨٠٠ قدم فوق خضراء والتي ترتفع إلى ٤٣٠٠ قدم فوق سطح البحر.

كانت أعلى نقطة تقع عند نهاية الطرف الغربي لسلسلة حادة الأطراف تتوضع في اتجاه محور شمال - جنوب وتهبط في عدد من التعرجات الحادة تجاه الغرب لقرية قابل منيف -التي نراها لأول مرة- وتسمى أيضاً آل قطران -قسم آخر من سلوم-. تسمى القرية المركزية التي أشرت إليها، باسم آل حمرى -أيضاً سلوم- بينما توجد على النهاية الشرقية قرية صغيرة ثالثة تسمى آل عوّاد -سلوم-. تنتمي أشجار نخيل وقلعة جزيرة قشية إلى آل قريع (سلوم) كما يوجد برج مراقبة آخر يسمى قلعة العان -آل عواد- على سلسلة منخفضة تجري أسفل الجانب الأيسر للوادي، من خلف قابل، وبها بئر يسمى بئر زبيدة.

يمكن رؤية امتداد الوادي باتجاه الشمال الشرقي إلى ما يلي قمة قلعة العان. تقع سلوى، حسب ما رواه مهدي، والتي لا نراها هذه اللحظة، في ذلك الاتجاه، بينما أمكننا رؤية المعلم الأرضي وهو عمود ثار. هبطت مجموعة من المسايل على سفح شرقان ناحية الوادي، والذي كان اتصاله مع ترمة مشاهداً على بعد أربعة أو خمسة أميال. يوجد بئران، فوق القرية في بطن الوادي من ناحية الشمال الغربي، يسميان مسرباً، بينما كان أمامنا منظر جزئي لنجرا (بئر وأطلال) ووسيعة (ثلاث آبار قديمة مدفونة) وكلاهما على الجانب الأيسر باتجاه أعلى الوادي لمسرب. اكتملت صورة حبونا بمجموعة من أطلال «بني هلال» تسمى خراب شريم مباشرة بعد الطرف الغربي لقابل منيف، ولبعض مزارع النخيل باتجاه أعلى الوادي التي تنتمي إلى الواحة الرئيسة غير أنها ستذكر عندما نقوم بزيارتها في مسيرتنا أعلى الوادي. كان كل ما تبقى هو سلسلة لا نهاية لها من الجبال.

هبطنا سفح شرقان عن طريق آخر غير مسيل جحير الذي كنا قد سلكناه صعوداً، وعدنا آخر الأمر إلى المعسكر عن طريق مسيل خال ومن حول برج المراقبة الذي في واجهته كنت قد رأيت نقوشاً على صخرة، وقد قمت بنسخها. لقد سُرَّ مهدي بهديته التي قدمتها له عندما افترقنا وكانت جنيهاً استرلينياً ذهبياً كاملاً (وكان مندهشاً قليلاً). لقد فعل مهدي الكثير بل أكثر مما أتوقع حينما أراني الصخرة الثانية التي تحمل النقوش، وبما قدمه لي من معلومات جغرافية محلية. أحضر لنا مهدي خروفاً غير أنني علمت بهذا الأمر في وقت لاحق.

لقد انتهيناً من واحة حبونا، أو من الجزء الرئيس فيها، ولم يعد هنالك مبرر لبقائنا أكثر. كان الأمير قد قدم لنا زاداً للطريق، وجبة غداء بسيطة من عصيدة قمح جيدة الطبخ مملوءة بالسمن الذي تجمع في فوهة عند وسط العصيدة. كنا نضرب الطريق عند الساعة الثانية مساءً مرة أخرى لكي نرى المزيد من وادي حبونا في مجراه المحاط بالصخور وهو يجري في الجبال.

دخلنا مرة أخرى لمجرى الوادي، بعد أن عبر مضيق عرجة (وبرج المراقبة من فوقه) من خلال ممر ضيق إلى فم خال وعبر مسافة تقل عن الميل الواحد، إلى مزرعة نخيل مسعودة الصغيرة، على جانب الوادي الأيسر، ومنها مباشرة إلى مروة التي تقع إلى الخلف على بعد مسافة من المجرى بأشجار نخيلها ومزارع دخنها وحصونها (قصور) القليلة القائمة في صدع السلسلة.

كان رأس التل الصغير الذي يقع بجوار جانب الوادي ويفصل بين هاتين القريتين الصغيرتين متوجاً ببناء مربع شبيه بالقلعة، كان جزؤه الأعلى مبنياً من الطين وكان الأسفل من حجارة جرانيتية. وتقع بالقرب من هنا مجموعة أخرى

من حقول ومزارع نخيل وكلها معاً تكون قرية بني هميم الذي ورد ذكرها. توجد هنا قناة جانباها من الرمل تقود من عند الوادي إلى المزارع في قرية حويد.

واصلنا مسيرتنا ونحن في حضن الجانب الأيمن للوادي، الذي كان عرضه نصف ميل وعليه كثافة من أشجار الطرفاء حتى وصلنا إلى الدلتا العريضة، لشعيب كتنة الذي ينحدر من عند فتحه في التلال تقع إلى الشمال من موقعنا، وعبرناه لنستريح قليلاً بجوار برج طويل نحيل يقع في وسط أشجار نخيل نقعة على الجانب الأيسر. كانت هذه هي القرية الثالثة باتجاه أعلى الوادي التي تمكنت من رؤيتها من عند قمة شرقان وكانت هي آخر ضواحي الواحة الرئيسة. ألقت شجرة علب (سدر) ضخمة ظلها على بئر القرية التي تقع على حافة المجرى وكان قطرها حوالي ٢٠ قدماً وصهريجها مبطن بمواد البناء إلى مستوى الماء على عمق عشر قامات إلى أسفل -مقارنة بعمق ثماني قامات فقط في شط الخضراء-. كان البناء الفوقي للبئر يحمل ست بكرات، ثلاث منها تجاه الشمال والأخريات تجاه الجنوب والتي كانت تجري من فوقها حبال الدلاء التي تجرها مجموعة من الثيران، تنتمي هذه القرية الصغيرة، على عكس غيرها من القرى في هذه الواحة، إلى آل بحري، من آل أحسن من قبيلة المواجد.

واصلنا مسيرتنا أعلى الوادي بعد أن أدينا صلاة الظهر وقد تقلص عرض الوادي إلى ٢٥٠ ياردة بين جدران صخرية ارتفاعها ٢٠٠ قدم. اتسع هذا الممر بعد فترة إلى انبعاج دائري وقد نمت غابة من الطرفاء عند موقع تدفق شعيب ذات حمد الذي يهبط من عند سلسلة عويج قليلاً إلى الوراء من ناحية الجانب الأيسر. اخترقنا هذا وتتبعنا المجرى المتسع، وسرعان ما دَخَلت في مجال الرؤية الواحة الثانية في حبونا واسمها الحصن وكذلك مزارع نخيل مجمع على بعد ثلاثة أميال

من نقعة. استقر بنا المقام هنا لنعسكر الليلة بجوار مزارع نخيل قريتي الحصن الصغيرتين التابعتين لغنيمة، بينما قمت أنا بتسلق الصخرة التي تطل على كل الواحة من عند الجانب الأيمن للوادي. تحتل مجمع مساحة بيضاوية طولها ميل وصف الميل من جهة الشرق إلى الغرب، وكان عرضها نصف هذه المسافة بين مجريي شعيب هلال (جنوب) وشعيب سيحان (شمال) اللذين يلتقيان في موقع دخولنا ليكوِّنَا رأس وادي حبونا، الذي يرتفع إلى ٤٤٠٠ قدم فوق سطح البحر. تتكون الواحة من قرية بائسة على جانبي سلسلة منخفضة تفصل بين المجريين من عند موقع ظهورهما في التلال إلى القرب من موقع التقائهما لتكوين حبونا، وكان آهلوها مثلهم مثل آل نقعة من قبيلة البحري ومن المواجد.

ستوصلنا مسيرة الغد إلى شعيب سيحان، وبناءً على هذا، فقد ركزت على جمع المعلومات عن المجرى الآخر وعلى المجموعة التي تكِّون الواحة نفسها. لنأخذ شعيب هلال أولاً، الذي نستطيع رؤية ما يصل إلى طول الميل الواحد من مجراه إلى الموقع الذي ينبعج فيه من عند التلال، وقد برزت إلى الخلف قمة انثاري الواضحة، التي تشاهد أمام قرية نخيل حرشف، كما قيل لي، داخل المجرى، قيل لي كذلك إنها تبعد مسافة رحلة نصف يوم من غنيمة، لنقل ١٢ ميلاً باتجاه أعلى الوادي. توجد قرية أخرى أعلى، باتجاه أعلى الوادي، وعلى بعد ميل أو ميلين، تسمى هدادة، والتي يكون الوادي فيما يليها عارياً من الغطاء النباتي غير المأهول حتى حافة الهضبة في اتجاه ظهران أو ما يعادل رحلة يوم ونصف اليوم (حوالي ٣٠ ميلاً) فوق حددة. تنتمي هذه القرية ومعها حرشف إلى قسم آل حرشف تحت رئاسة صالح بن ربوع من قبيلة آل فاطمة. كما توجد خمس قرى أخرى على بعد مسافة ميل بين كل قرية وأخرى، تنتمي كلها إلى

قبيلة البطاحين قسم المواجد، تقع بين حرشف والموقع الذي يدخل فيه شعيب حلحلة إلى هلال عن طريق جانبه الأيمن، تسمى هذه الخمس قرى كما يلي: حزقة، ودوَّاح، وسليمة، والعزم، والنقعة في هذا الترتيب مع اتجاه أسفل الوادي وتكون الأخيرة منها فوق مدخل شعيب حلحلة. يهبط الطريق القادم من نجران عبر شعيب بران إلى أسفل هذا المجرى ليخترق هلال في طريقه إلى جفة التي تقع في شعيب سيحان ومنه إلى بدر.

كان القسم من شعيب هلال الملامس للمجمع على جانبها الجنوبي ممتلئاً بأشجار الطرفاء والأراك وبغطاء نباتي آخر. ويقال إن هنالك العديد من الأطلال عند عدة نقاط على امتداد هذا الوادي، ويرجع تاريخها ليس إلى بني هلال بواسطة الروايات، كما كان المرء يتوقع من اسمها، ولكن من اسم بطل يسمى داكنيوس عاش حوالي ٣٠٠ سنة قبل ظهور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

تتكون واحة مجمع مما يلي:

١- غنيمة ويوجد بها حصنان وعدد من أشجار النخيل وبعض حقول الدخن كلها داخل المساحة البيضاوية، وقليلاً ناحية النهاية الشرقية.

٢- ربيعة وتقع على الجانب الأيسر لهلال على مسافة نصف الميل إلى أعلى.

٣- قرنه وتقع بين غنيمة وربيعة.

٤- بئر برصة وتقع على الجانب الأيمن لسيحان على مسافة ٣٠٠ ياردة إلى أعلى.

٥- وتن وهي أكبر القرى وتقع في منفرج سيحان، على مسافة نصف الميل إلى أعلى وبها مجموعتان منفصلتان من أراضٍ زراعية ذات بئر هما أم الغرين ووشيجة.

obeikan.com

٦- وحل وهي أرض ممتدة متعرجة ذات عـدد من أشجار النخيل مع بعض الحصن القائمة على الجـانب الأيمن لسيحان عند مـدخله إلى المساحة البيضـاوية. كما توجد، أخيـراً قلعة صغيـرة منعزلة على الجانب الأيسـر لسيحان على مـسافة ٣٠٠ أو ٤٠٠ ياردة أعلى موقع لقائه مع هلال. يهبط مـسيل رح إلى سيحان في مقابل وحـل وقليلاً إلى أعلى منه من عند جلمود مرتفع مـن حجر رملي، كان يقف شامـخاً بين التلال ناحيـة الشمال الغربي، بينمـا تسيطر سلسلة فت على الجزء الأعلى لسيحان من ناحية الغرب في اتجاه بدر.

زارني أحد المكارمة عندما رجعت إلى المعسكر واسـمه حسن وكان قد اشترى مزرعـة نخيل فـي غنيمـة منذ حوالي ١٦ سنة وهو يعـيش الآن هناك - وهو ذو شخـصيـة ورجل لطيف المعـاشرة. تجمع كـذلك حشـد من الأهالي حول نـيران معسكرنا لتذوق شراب القهوة وقد أحـضروا لنا معهم حزماً من أعواد الدخن علفاً للجمال التي بدا عليهـا الارتياح لهذا العلف الجديد، غير المثير للشـهية وقد أكلته بقناعة.

دعوت كل من حسن وشيخ القرية لتناول العشاء معنا، وجلسا يتحادثان معنا على فناجين القهوة حتى وقت متأخر - بالنسبة لهم. ادعى حسن أن هنالك علاقة بعيـدة تعود إلى الجيل السـابع والتي تربطه، إلى فرع رئيس قطاع المكارمة واسـمه حسين بن أحـمد الداعي، والذي تم نقله منذ المشـاكل اليمنيـة عام ١٩٣٤م، إلى مكة. حيث ظل يعـيش هناك حيناً وفي الطائف حيناً آخـر حسب الموسم، وينزل ضيفـاً على الملك، وله وكيل يسمى أحسن بن هاشم يقـوم بأمور أسرته وممتلكاته في بدر. أخبرني حسن بأنه قد مضت فتـرة زمنية تقدر بـ ٣٠٠ سنة منذ أن استقر

المكارمة الأصليون في بدر وفي نجـران جاؤوا مهاجرين إليهـما من بلاد حمدان – يبدو أنها تعني اليمن–. غير أنني أبديت اعتراضي لما قاله حسن، ذلك بأنني لم أر أحداً من جـماعته هذه في نجـران. أجابني حسن بدهاء بـأنهم قوم مبعـثرون في الشتات وأنـهم منعزلون لأنفسهم ولا يزورون أحـداً. استمتع مـعنا جمهور غـفير بجلسة مع الراديو ذلك المساء غير أنها لم تكن سهرة ناجحة بسبب الظواهر الجوية الكهربائية.

كان اليـوم التالي هو الحادي عـشر من نوفمـبر. سرت مرتجـلاً عبر المسـاحة البيضاوية، عنـد مواصلة مسيرتنا، وذلك لأفحص وتن، التي وجـدت فيها أطلال بئر قديمة كما لاحظت قلعـة أخرى صغيرة قائمة على هضبـة منخفضة بالقرب من بئر برصة. لاحظت كـذلك أن الصخور الشسـتية على هذا الجانب مخـططة بكمية كبيرة من الكوارتز.

لم يكن هنالك شيء ذو أهمـية قـصوى هنا، ثم سـرت إلى الجانب الأيـسر لسيـحان إلى ناحيـة منفذه من عند حـاجز التلال. كـانت هنالك ألواح كبـيرة من الشست مرتبة طرفاً بطرف في صفين لتكون بذلك قناة توجه مياه السيول إلى مزارع وتن. كانت توجد كذلك قناة أخرى في تلك المنطقـة، قريباً من المنفذ، عند النهاية الغربية القـصوى لوحل وعلى جانبه الأيمن، وكـانت جدرانها الطينية عـالية. وقد وقفت عند مدخله صخرة كبيرة وعليها عدد من النقوش الثمودية وبعض الرسومات الجيدة للجمال وإلى جانب خربشة ثعبانيـة مزدوجة بتفرعات، ربما قصد بها مخطط بدائي كروكي لمساحة الواحة ذات الواديين والعـديد من القنوات. أينما وجدت مياه صالحة للاستخدام في هذه الأودية الجافة العارية، فإن القدماء وإلى حد ما الحاليين،

قد استغلـوها لكسب العيش فوق تراب أرضهم. كان عليهم، في الأزمـان السابقة، الاعتماد على جهدهم الذاتي في الكفاح لأجل البقاء.

يحكى لنا حـبشـوش، في الكتاب الذي ورد ذكـره، بأنه في المناطق الأكـثر خصوبة في جنوب اليمن، فإن المجاعـات التي كانت تقع على فترات، كانت تنتج عن انحبـاس الأمطار الموسميـة وشح السيول لذلك كـانت تؤدي إلى هلاك الجزء الأعظم من السكان، حتى جاء الأتراك المقدامون عام ١٨٧٢م. استطاع الأتراك أن يلطفوا آثار المجاعة في إحدى المناطق بإدخال وسائل كفء لنقل الحبوب من منطقة إلى أخرى كما حدث في هذا العام (١٩٣٤م) فقـد تمت مواجهة شبح المجاعة في حضـرموت بقرار الحكومـة البريطانية بإرسـال كميات مـن الدخن من اليمن ومن تهامة ومن السودان إلى تلك المنطقة. يقدم لنا حبـشوش المعلومات المثيرة للاهتمام بأن الرز كان قـد استورد لأول مرة إلى اليـمن من مصادر من وراء البـحار وذلك لتلطيف آثار المجاعـة التي حدثت عام ١٨٨٥م. كـان الأتراك، بالطبع، هم الذين نظموا الاسـتيراد والتـوزيع، وقد احتل الرز موقـعه وإلى الأبد، كمـادة عادية في الغذاء بين أوسـاط الطبقـات المنعمة. ويقـول الملك ابن سعـود: إنه كان أول من أدخل الرز إلى وسط الجـزيرة العربية وذلـك إضافة إلى جـانب الأطعمـة الأخرى وليحل مكان البرغل والجريش والتي وجدها في نظره مهيجة إلى درجة بعيدة.

أدرنا ظهورنا ناحـية واحة مجمع البـائسة وواصلنا المسيـرة فوق الوادي، وقد مررنا بـقلعة مـدمرة تطل على غـابة من أراك وطرفاء ووصلنا بعـدها في أقل من نصف الساعـة إلى شعـيب جاري اسمـه الضيقـة، ينساب لمسـافة ٤٠٠ ياردة في مضـيق صخري ضـيق قد وجـدت على جداره نقشـاً بجوار رسم لفـارس. كان الشعيب الجذاب هذا مبطناً بالقصب والطرفاء وقـد اتسعت نهايته العليا إلى انبعاج

عظيم مع تدفق شعيبين هما أم العصب على يميننا ونفر على يسارنا. تقع الواحة الثالثة لمجموعة حبونا في الانبعاج قليلاً إلى أعلى من مجرى سيحان وتسمى الجفة ويمتلكها جماعة آل فاطمة. تقع الجفة في ثلاث مجموعات من النخيل وحقول الدخن وعدد من المساكن معظمها كأبراج.

وصلنا إلى أولى هذه وتسمى مذنب وهي قرية بائسة بمعنى الكلمة ذات عدد من أشجار النخيل المبعثرة وحوالي ستة من الأبراج المدمرة ومساحة متوسطة لزراعة الذرة وبعض حقول البرسيم. تقع هذه القرية على بعد قليل عن الجانب الأيسر لسيحان الذي يجري أسفل منتصف الانبعاج وقد تتبعناه مسافة ٥٠٠ ياردة لأول الأبراج وأول الحقول للقرية الصغيرة التالية وتسمى مثنت. كانت مثنت عبارة عن مجموعة صغيرة من الحصون مبعثرة في المزارع وتتجمع مواقع السكن فيها، وهي عبارة عن ستة من الأبراج عند منتصفها.

كانت معظم حقول الدخن قد تم حصادها وتم نقل المحصول إلى موقع مركزي لأجل غربلته، حيث كانت هنالك مجموعة عاملة فقيرة، ولكنها مرحة، تتكون من الرجال وبعض النسوة تقوم بغربلة الدخن من قشوره بالأسلوب الذي عفا عليه الزمن وهو صبها خلال مجرى الهواء. وكانت الحبوب قد فصلت من قبل عن السنابل بوطئها بواسطة الدواب. تقع بئر بصرة على الجانب البعيد لسيحان غير أنها تعد داخل حدود مثنت. تنتهي القرية بمجموعة ختامية من الأبراج عند موقع دخول المجرى وهو قادم إليها من عند التلال، وعموماً فإنها تبدو أكثر ازدهاراً من مذنب حيث أن بها بعض المساحات الصغيرة المزروعة التي تحيط بالآبار بمحصول القمح والذي كان مزهراً بالفعل. يحلق سرب كبير من طيور السوادية ويلتقط كل ما يسقط من حبوب أثناء عملية نقل الدخن من الحقل إلى موقع غربلته.

يقع القسم الثالث من الواحة ويسمى أم الحوض أعلى الانبعاج داخل المجرى الصخري، قليلاً فيما يلي المسيل الصغير الذي يدخله على الجانب الأيمن، مقابل قلعة من الطين، مدمرة، تحيط بها مقبرة تم بناء بعض قبورها بألواح من الصخر إلى ارتفاع أربعة أقدام. تمتد أم الحوض، بنخيلها الشحيح المبعثر، وحقول الدخن الشبه مدككة، إلى حوالي ١٠٠ ياردة أعلى الوادي، وتضم البرج المنعزل وبئر نزقة في الرقعة من الأرض التي تحتوي على حوالي ٢٠ شجرة من أشجار النخيل ومن حقول صغيرة على بعد ٤٠٠ ياردة عند تدفق مسيل مهرة من مرتفعاته الصخرية الرملية على يميننا.

هكذا انتهت الجفة وواصلت أشجار الطرفاء الخفيضة وجودها في الوادي غير المثير وقد أطبقت سلسلة الدحو مما حجب عنا المنظر الذي يقع على لسانها على بعد الميلين. دخلت مسايل عديدة إلى الوادي، وتدفق شعيب فت عند قاعدة سلسلته المنبعجة التي شمخت فوقنا إلى ارتفاع ١٥٠٠ – ٢٠٠٠ قدم. تسمى هذه السلسلة مبنى البيت وهو شعيب يدخل سيحان من على الجانب البعيد، وقد أصبح الوادي دافئاً وعديم الهواء بسبب انطباق كتلتي دحو ومبنى العاليتين عليه. اجتهدنا لنتوقف هنيهة عند النهاية السفلى لنهر جارٍ آخر يسمى غيل سيحان عند مدخل شعيب راك كان عرض الوادي هنا حوالي ٣٠٠ ياردة مع غزارة لنبات الحلفا والطرفاء التي لا مفر من وجودها على النهر.

ارتفعت الصخور الجرانيتية الداكنة إلى حوالي ٥٠٠ قدم، وأكسبت المكان إحساساً غامضاً، وأجواء ميتة. كان هنالك عدد قليل جداً، حقيقة، من الطيور في هذا المكان، كان الطائر المخوض يلتهم أسماك المنوة الوافرة وقد أطلقت عليه

الرصاص، وكانت الذعرة تقوم بصيد الأسماك على حلقة الماء، وكان طير البلاكستارتس يرفرف بجناحيه حول الصخور، وكان هنالك صقر صغير يحلق فوقنا حينما كنا نتناول الشاي تحت ظل إحدى الأشجار، ونحن نراقب الجمال وهي تمضغ أعواد الدخن. كان مرشدنا، زائد، مجنداً في خضراء وكان يعرف الوادي جيداً ولكن ليس لأبعد من حدود هذا الوادي الضيقة. تعزز فقره الزائد للذكاء إعاقة واضحة في حديثه.

لقد كان النهر منقطعاً، يظهر في أجزاء من البرك، وقد نما القصب في بعضها إلى ارتفاع ١٥ قدماً. وكانت غابة الطرفاء كثيفة حينما كنا نشق طريقنا فيها عبر العديد من المسايل الهابطة من جوانب شثّي وهي سلسلة عالية ذات قلنسوة من الحجر الرملي، تقع على مسافة ميل واحد ناحية الخلف تجاه الجنوب. كانت هذه السلسلة فعلياً استمراراً لسلسلة الدحو وهي نفسها تتواصل غرباً بسلسلة دخفة التي تطل على آخر واحات حبونا التي تقع أمامنا.

وصلنا عند قمم أحد هذه المسايل إلى أطلال قلعة قديمة من الطين تقع بالقرب من بئر عجمان المحطمة التي امتدت من عندها قناة جر للمياه تنقلها إلى داخل البناء، كان هنالك اتساع في الوادي قليلاً إلى أعلى، وقد سببه دخول وادي قب من جهة الشمال، عبر مضيق مدهش، حقيقة، في الطرف الأدنى لوادي بدر بالنسبة للهضبة، غير أنه هنا يسمى محلياً باسمٍ لأطلال قديمة ليست بذات أهمية ولعلها كانت موقع قلعة لحراسة الوادي ضد أية تدخل من ناحية الهضبة. يقال إن هذا الممر لا يصلح لسير أي نوع من الحيوانات المستأنسة عدا الإنسان. يبدو أن اتجاهه العام، مع اتساعه، هو ناحية الشمال الغربي. وصلنا إلى حاجز معتبر من أكوام للطمي في موقع اتساع آخر للوادي وعلى مسافة أعلى عند مدخل فرع آخر

لشعيب راك الذي يقع على يسارنا. كان يوجد عند النهاية العليا له بئر تسمى الخثيمي، كانت مياهها تسحب بواسطة ثلاثة جمال وذلك لري الحقول أسفلها. يسكن مالكو البئر في منزلين صغيرين من اللبن، كما توجد أكواخ محطمة، تدل على أنه كانت هنالك محاولة لزراعة كل الحوض الطموي، الذي ظل جزء كبير منه دون زراعة، بينما أقيمت على جانبي الممر جدران من حجارة.

كانت هنالك رقعة لأرض طينية تقع إلى أعلى، ذات أطلال لمباني بدائية، وقد وصلنا إلى ما يليها لنفاجأ بمنظر زاهر يدل على نشاط الإنسان وهو عبارة عن حقول الذرة الواسعة نسبياً في قرية آل فايد ذات المنازل الأربعة اللبنية التي تأوى سكانها قليلي العدد، والذين ينتمون إلى قبيلة آل فاطمة.

تتبعنا شريطاً لقناة بدائية عبر هذه المزرعة – موقع جذاب جداً وقد تباعدت الجدران الداكنة لمضيقه كاشفة وادياً عريضاً يمتد أمامنا ومن ثم عبرنا من حول قاعدة هضبة صغيرة تقف فوقها قلعة محطمة مبنية من اللبن قائمة على أساس حجري. كان اسمها أم عرقين وهي منظر تذكاري لتلك الأيام التي كانت هذه القلعة تقف فيها لحراسة المحاصيل التي تنمو أسفلها ضد رجال القبائل الغزاة من القبائل المعادية. كانت هذه الأرض الطينية امتداداً لهجمة أعلاه، بنخيله الطويل التزييني وأبراجه المبنية من اللبن متوضعة على جانب نهر صغير جارٍ في بطن الوادي. ينتمي الناس هنا إلى فرع آخر من قبيلة آل فاطمة ويدعون آل جثيمة. وصلنا إلى الجزء الواسع من الوادي، فيما يلي ذلك، عند موقع البئر وحقل الدخن الوحيد والمحاط بجدار والذي يتبع آل مرقب وإلى برج تربة عوفه الصغيرة، وإلى مزرعة نخيل صغيرة وحقول أكثر.

وصلنا الآن إلى القرية الرابعة في حبونا وتعرف باسم حضيرة وتضم كل المزارع أسفل الوادي حتى بئر خثيمة. ينتمي هذا الجزء المكشوف الأعلى إلى قبيلة واعلة التابعة لآل فاطمة، مع عناصر من آل قنة وآل دويخ وتشتمل على عدد من القرى الصغيرة والآبار وعلى مزارع نخيل وحقول مجاورة لها. كانت هنالك من ناحية الغرب وإلى أعلى، مجموعة من الآبار وأشجار النخيل وحقول، كلها تكون سليحة عند القمة، وأم أركب في الوسط، وتقع بئر زيتة إلى يمنيها، وتقع كل من زهرة وسلوى على الجانب القريب منها. كما تقع بئر عبلة بالقرب منا بينما وقفت القرية الرئيسة ذات الأبراج، وتسمى حويرة، على الجانب الجنوبي للمجرى، ثم اكتمل المنظر بقلعة تسمى رهوة تقف على صخرة منعزلة عند مركز القرية، وبعض مزارع نخيل مصفية على الجانب الأيمن والذي بجواره، وفي مساحة مكشوفة، قررنا أن نعسكر لقضاء تلك الليلة. كوَّن بئران أخريان هما بروك ووسيطه جزءاً من مصفية وعوفة بالتتالي. شمخت من فوقنا سلسلة دخفة ذات الجبال الصخرية الرملية المسننة والمنقرة بالعديد من الكهوف. كنا هنا على ارتفاع ٥٢٠٠ قدم فوق سطح البحر، وعندما قمت بتسلقها في اليوم التالي إلى قمة دخفة، كان الارتفاع حوالي ٦٩٠٠ قدم.

مررنا بمجموعة من البدو أعلى الوادي ينفطر لمنظرهم القلب وهم من آل فايد. كانوا رجالاً ونساءً يندبون بصوت مرتفع جملاً ميتاً ويصرخون بقوة متهمين القرويين المحليين بارتكاب الجريمة. كانت مثل هذه الحوادث في الأزمان السابقة تنتهي بسفك للدماء، غير أن كلا الفريقين كان عاقلاً وتابعاً لأساليب النظام السعودي ولم يحدث شيء بعد المناظرة الضرورية الشاملة. كان القرويون -حسب رأيي- بريئين تماماً من الحادثة التي دفعت بالجمل من فوق الصخرة حينما كان

يتجول هناك بلا هدف عبر مزارع الدخن فسقط وكسرت رجله. أقل ما يمكن أن يفعله هذا الجمل الآن هو أن يكون وليمة لكل من يهمهم الأمر، غير أنني لا أدري بالفعل ماذا حدث فقد واصلنا مسيرتنا لنكتشف عند وصولنا حضيرة أن ليس بها لحوم وتعشينا بالعصيدة فقط. كنا جائعين وكان الوقت متأخراً جداً لا يمكننا إرسال أحد لذوي القطعان للحصول على جدي.

كانت بعض المساكن البرجية شديدة الجاذبية في هذه الواحة وساحرة المنظر ومن حقها علينا أن نصف نموذجاً مثالياً لها بشيء من التفاصيل. يبدو أن الأساس الفعلي فقط للمنزل هو الذي استخدمت فيه الصخور، وفوق هذه الصخور يتكون البناء من اللبن ويرتفع إلى حوالي ٣٠ قدماً. كان جزؤه الأسفل مكوِّناً من طبقات من طين إلى ارتفاع ستة أقدام وتمثل هذه الطبقات حجرة في الدور الأرضي، وهو بلا منفذ إلا من عند الباب. برزت بعد هذه كثافة من الطين إلى ارتفاع ١٢ قدماً ولم تكن من طبقات ولكنها كانت كتلة مصمته، وكان جزء من هذه، ارتفاعه حوالي تسعة أقدام وتمثل غرفة المنزل الرئيسة التي يسكنها رب المنزل وتقع في الطابق الأول.

يوجد في هذه الغرفة صفان مزدوجان من شقوق النوافذ الشبيهة بفتحات الرمي وقد حصرت ثمانية منها على جانب واحد – وعلى مستوى أعلى منها يوجد صفاً من خمس فتحات مربعة (للضوء وللتهوية). كما يبدو أن الأقدام الثلاثة المتبقية لهذا القسم هي التي تكون الجزء الأسفل لغرفة الطابق الثاني، والتي تحيط بها طبقات من الطين ولارتفاع يصل إلى ستة أقدام وهي مخرمة بانتظام بنوافذ صغيرة مربعة. يحتمل أن تكون هذه الغرفة مقسمة بدورها إلى غرف لأفراد الأسرة (نساء وأطفال) في طابقين. كانت الأقدام الستة الأخيرة من جدار مصمتة

من الطين وبلا طبقات، ومزخرفة بسذاجة بصفين من النقط وصف من حرف T بينهما. يمثل هذا القسم جزئياً غرفة عليا بدون منفذ -ربما لتخزين المقتنيات القيمة مثل الأسلحة والذخيرة- ويمثل جزئياً قسماً ذا جدار يكون حاجز سقفه محاطاً من كل الجهات بصف من الأبراج تبدو كرأس النخلة. يبدو أن الصعود من غرفة إلى أخرى في هذا البناء يتم بواسطة درج خشبي، يقود إلى فتحة مربعة في أرضية كل غرفة. يبدو المنزل بسيطاً جداً، ولكنه من غير المحتمل أن يكون مريحاً لأن يعيش المرء فيه.

شاركنا بعض القرويين وجبة المساء البسيطة إلا أن أحدهم ويدعى أحمد بن عايض كان مرشداً ملماً بالكثير من المعلومات حين صعودي معه إلى دخفة في الصباح. كان من عادته المضطربة أن يهرش رأسه وجسمه، واللذين يبدوان وقد ملأهما القمل، غير أنني غفرت له هذا الإحساس بسبب معلوماته الموسوعية عن المنطقة حول موطنه البائس. لقد ابتدأنا من عند المعسكر وتوجهنا ناحية الجنوب الشرقي عبر المسيل الشديد الانحدار والمستقيم تماماً، ويسمى بوّالاً والذي يميل أسفل جانب دخفة من عند قمته الصخرية الرملية وعبر سفحه الجرانيتي الصعب. وصلنا على مسافة ٤٠٠ قدم إلى أعلى، إلى نبع ضئيل جداً يسمى وشل وهو يقطر من شق في الجرانيت المصمت. ثم وصلنا إلى تماس الصخر الرملي عند ارتفاع ٦٥٠٠ قدم فوق سطح البحر، وهذا يشير إلى أن قلنسوة الجبل ذات سُمك يصل إلى ٤٠٠ قدماً. وصلنا إلى قمة السلسلة عند موقع لعرن بالقرب من نهايتها الغربية وهو أقل ارتفاعاً من القمة الفعلية وعن طريقه سرنا إلى قمة السلسلة. كانت تقع إلى ما يليه وعلى بعد مسافة قليلة قمة أخرى على نفس مستوى تلك التي نقف عليها، ويبدو أن السلسلة كلها من الشرق إلى الغرب لا يزيد امتدادها

على ميلين. تنحدر السلسلة من الجانب الخلفي تدريجياً إلى مستوى الهضبة المرتفعة والتي نكاد أن نكون قد وصلنا إلى حافاتها الممزقة. كان المنظر من قمة دخفة عظيماً بحق، وكانت الرؤية ممتازة وواضحة التفاصيل. شمخت القمتان والنموات الأخرى من أرض مسطحة خشنة أعلى كثيراً من المستوى العام للمحيط المجاور، ويوجد على القمة التي نقف عليها صندوق للصيد بدائي البناء وبلا سقف، أنشئ لمن يرغب في صيد الوعول التي يقال إنها ترتاد هذه التلال.

امتدت الأرض الخلفية الغربية في وتر طويل ضحل من فوهات بركانية -سأراها فيما بعد عن قرب- مكونه من سلسلة تسمى قهر القعم التي تطل على أودية تهامة تجاه البحر الأحمر من الجانب البعيد. يجري عند قاعدة هذه السلسلة الطويلة وفعلياً داخل حدود مشتركة معها، من الشمال إلى الجنوب، شريط مدهش وبارز لصخر أصفر تسمى قعم الأبيض الذي يكون عرقاً يفصل القمة البركانية من الصخر الرملي للهضبة المرتفعة. ترتفع قمة صخرية رملية منعزلة ومدهشة، ناحية الغرب من موقعنا هذا، وقريبة جداً من الخلفية الصخرية الملونة بالأسود والأصفر التي ورد وصفها، شكلها يشبه شكل خبزنا القديم، وتكون معلماً أرضياً ممتازاً لعدة أميال ومن كل الجهات.

تسمى هذه القمة شثاثًا، وهي تسيطر على المركز الإداري المهم لظهران، عاصمة الهضبة المرتفعة، والتي تقع خارج مدى الرؤيا وداخل واديها على مسافة ميلين ناحية الجنوب. يأتي هذا الوادي واسمه شعيب كهلان، كما يقول مرشدي، منحدراً ماراً بالمدينة من عند الطرف الغربي عبر أرض مضطربة مكسرة إلى مسافة ثلاثة أو أربعة أميال من دخفة وتقريباً ناحية الغرب منها، حيث يتصل بوادي مشابه هو وادي أم تره، الذي يصرف الهضبة العالية إلى الشمال من شثاث من عند رأس

خنق وهي الاستمرار الغربي لشعيب سيحان وأيضاً حبونة نفسه. يشير الاسم خنق (المضيق) بالتحديد أيضاً إلى مجرى يجري إلى واحة حضرة ويضيق فيما يليها إلى موقع ملتقى شعيب قب الذي ورد ذكره، حيث يكون اتحادهما عند رأس غيل سيحان ليكون القسم التالي للوادي في اتجاه الشرق إلى مجمع وهو اسم شعيب سيحان. تقوم السلسلة الرائعة لمبنى البيت والدحو على الجانبين ويملأان كل الربعية للبوصلة من الشمال إلى الشرق، بدور المَعْلم لموقع ابتعاد قسم سيحان من الوادي والذي يمكن رؤية منبعية الرئيسين في السلسلة العليا للجبال الغربية، كاملين، كما قد رأينا نهايته مع اتجاه أسفل الوادي من عند الحصينية وهي تتلاشى في الصحراء العظيمة ماراً بمعلم عن حبونا الأرضي. سأرى هذه الأجزاء العليا لهذا الوعاء العظيم عن قرب، غير أنني رأيت الآن لفائدتي الخاصة أهم سماته.

لا أحتاج للحديث هنا عن قرى وادي أم تره أو مجرى ظهران والتي تتبع الهضبة المرتفعة أكثر مما تتبع الوادي. يكفي هنا أن أذكر القرى الصغيرة للواحة الخامسة والأخيرة لحبونا في ذلك الجزء من خنق الذي يقع في الوادي الضيق أعلى قرى حضرة. كانت كلها مرئية لنا من عند الطرف الغربي لدخفة، برغم أن هذا لم يكن من عند القمة. كانت أقربهم لنا هي أم اركب وكانت أعلى القرى الصغيرة لحضرة هي حفول على بعد نصف الميل باتجاه أعلى الوادي مع وجود شريط من متاجر مهجورة تسمى سوق بني حرب متوضّعة على السفح من عندها وحتى الوادي، وقلعة أم الجبل على الهضبة أعلى منها، كل هذه كانت تقع أعلى تدفق مسيل خيرة على الجانب المقابل أو اليسار. يتبع بني حرب قسماً من آل فاطمة. تأتي بعد هذا وفي ترتيب من أسفل إلى أعلى: ابن دوكر، ولقطه، ورضية، وحقيح، كلها تشتمل على قرى صغيرة بروجية متوضعة في مزارع نخيل

صغيرة الحجم وبعض حقول الدخن. يصعب عليَّ جداً تكوين فكرة عن عدد السكان في مثل هذه القرى المبعثرة كما هي الحال في حبونا، غير أن تقديري لعدد السكان في كل المناطق المأهولة لوادي حبونا لا يزيد عن ٢٠٠٠ نسمة مع استبعاد الناس الرحَّل الذين يعيشون في الصحراء. يكون عدد هؤلاء الرحَّل كبيراً أيضاً وقد يصل إلى ٢٠٠٠ نسمة أيضاً، وعليه يكون العدد الكلي للسكان لمقاطعة حبونا حوالي ٤٠٠٠ نسمة، لا يمكن الاعتماد على مثل هذه التقديرات. يمكنني رؤية تل أم خرق، بعيداً إلى أسفل، ومطلاً على واحة شط الخضراء، بينما يبدو فيما يليه وقليلاً ناحية الشرق، شريط أبيض طويل لعله مجرى حبونا فيما يلي تدفق وادي ثار.

كان المنظر كئيباً من عند الكتف الأيمن لمبنى البيت ناحية الشمال الشرقي وحول جنوب قمة شثاث ناحية الغرب، ويتكون من أرض متقلبة مرتفعة يصل ارتفاعها إلى ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وبها القليل من المواقع البارزة فوقها. أستطيع أن أرى انثري الذي يقع بين الدحو وضحا القريبين مني، وهو يقع تجاه الجنوب الشرقي ويحجب قرية حرشف الصغيرة في شعيب هلال، بينما يدل على موقع حدده -قليلاً- إلى أعلى المجرى نفسه، شريط على سلسلة مضرع ناحية الجنوب الغربي. ارتفعت بين هذه ونقطة الجنوب، سلاسل مماثلة حادة لنصرانية وحرث وكل هذه السلاسل الثلاثة تقع في الأراضي جنوب ظهران. توجد كتلتا كفر وكتان إلى البعيد ناحية الشرق، ويكونان شريطاً متصلاً مع انخفاض قليل بينهما والذي من عنده يمكن رؤية قمة بعيدة تجاه الجنوب الشرقي والتي عرفها مرشدي بأنها إحدى النقاط التي تطل على مضايق معفجة. اعتقد مرشدي أن سلسلة أخرى بعيدة واسمها مناضر تطل على مخلاف من عند الجانب الأيمن

لوادي نجـران غيـر أنني تشككت في هذا التـعريف. يقع ناحـية الجنوب الغـربي السلسلة العالية والطويلة التي تسمى قهر الحمد حاجبة حدود اليمن والتي كان يرى فيها تل حضض الواقع أمام نقعة، كما ذكر أحمد -مرشدي- أن منخفضاً يقع في ذلك الاتجاه، بأن اسمه وادي الفرع الجبل -وذلك لتميزه عن فرع جنوب نجران-، مضـيفـاً بأنه رافد من روافـد شعـيب هلال، وعليه يكون هذا أقـصى رافد جـهة الجنوب لوادي حـبونـا. أشار مـرشدي إلى وادي يـسمى وادي الحـصن، والذي سنتحدث عنه في وقت لاحق.

تصب تلال صرم وسـحمان في الشـمال الغربي، فـيما تبـقى من ربع المنظر الذي تسيطر عليه قمة دخفة من شثاث إلى النـقطة الشمالية، مياهها في المرتفعات العليا لتثليث حول حرجة، بينما يطل رابية قـرن سبط البركانية البارزة الواقعة على شفه هضبة بدر العالية، في الاتجاه نفـسه فوق مجمع الواقعة في أحد الأودية التي ليست بالبعيدة منها. يمكن رؤية بدر نفسها قليلاً ناحية اليمين من هذا الشريط، أو تجاه شمال الشمال الشرقي، وإلى مسافة بالقرب من قرن سبط، وهي محتضنة في واديها الضحل وتحت قلعتها البارزة على التل. يصل الطريق من هنا إلى حبونا إلى قمـة الجانب الأيـسر على رأس مـسيل يسـمى خيـرة، والذي أسفله يتلوى المـمر وبخطورة تجاه قرى خنق الصغيرة. يعلم تل أبيض بارز يسمى قرة الطريق إلى بدر إلي البعيد في الهضبة العالي والتي تلتف حافته القريبة بوادي حبونا في حضيرة في شكل مرتفعات منخـفضة تسمى يتم التي تقع بين مسيل خيرة ومـسيل آخر يسمى بط يتصل بسيحان بالقرب من مزارع فـايد. واصلنا مسيرتنا عن طريق خيرة وكان الوقت قد تجاوز الواحـدة مساءً حينما عدنا إلى المعـسكر وأنعشنا أنفسنا وكنا على استعداد لبداية جديدة.